في العالم الداخلي (1-2)

منذ بداية عهدي بمعرفة الإنسان تجذبني عادة الموضوعات العويصة والغامضة، تلك التي تتطلب تفكيراً متعمقاً وبحثاً دقيقاً للوقوف على خفاياها، وعلى وفرة معانيها وتنوع أسرارها.

وحين أختار موضوع البحث، إنما أختاره من خلال عبارة تلمّح إلى عدة معان... أو اصطلاح ملتبس، أو تعبير معين يقدح أفكاراً في الذهن توقظ فيّ الوضع التأملي، للتمعن في ما عساها تلك العبارة أو التعبير أو الاصطلاح يحمل في طياته، وكأنه قد ضرب وتراً حساساً في أعماقي، وأيقظ نغماً هاجعاً منذ دهور؛ فأنصتُ إلى هذا النغم لأنتشي بروعته وشفافيته، ولأتبحّر في درجة وعيه أو حركة تذبذبه الفكرية وروعة أدائه، ولربما أستشف السلم الموسيقي الذي ينتمي إليه.

هذا هو عهدي في التقصي والبحث المتشعب، وهذا ما أطبقه في المجالات العلمية والحقول الأدبية الغامضة.

والاصطلاح أو العبارة التي استثارتْ فضولي مؤخراً كانت «العالم الداخلي». وكأني بهذا التعبير قد أيقظ في نفسي فكراً متجدداً، أو وعياً كان قادراً على استيعاب معنى هذه العبارة، لكنه فقد طاقته أثناء سباته الطويل. وراح يجمع قواه، ويستجمع طاقاته علّه يكتشف تلك المقدرة الفريدة.

« العالم الداخلي»، هل يعني لي شيئاً؟ وكان منذ الزمن السحيق يعني أشياء وأشياء... لكني لم أعد أذكر شيئاً، كوني لا أدري طريق الوصول إليه.

«العالم الداخلي» كلمة غريبة في المفهوم المادي، لكنها واسعة ومألوفة في العرف الإنساني. فحين يتفكر المرء بينه وبين نفسه، ويتأمل في هدأة أفكاره، يجد هذا التعبير مألوفاً. لكنه يجهل مقر هذا العالم بالتحديد.

«العالم الداخلي»، يشعر المرء أنه قريب منه، أنه كامن في نفسه، في ذاته، في كيانه، لكن أين؟ لا يدري، لكنه عالم يخصّه، يخصّ كيانه دون أي كيان آخر. لأن كل كيان يملك «عالمه الداخلي» الخاص به.

وأتمعّن العبارة من المعنى المادي الحرفي لها، وأبدأ التحليل. «العالم الداخلي»، إذاً، لا بد له من داخل وخارج... داخل ماذا وخارج ماذا؟ داخل الإنسان وخارجه. إذاً هناك قسمان، الإنسان الداخلي والإنسان الخارجي.

أين يقبعان، وماذا يمثل كل منهما؟ هذا ما وضعني في حيرة من أمري...

وأعود إلى التعبير نفسه: العالم الداخلي، داخل ماذا؟

الداخل يكون عادة غير منظور، لأنه يكمن في الداخل. إذاً هو غير منظور. لكن داخل ماذا؟ داخل الإنسان لا يوجد سوى المكونات المادية العضوية التي منها يتكوّن جسده، فهل ثمة لا منظور ضمن اللحم والدم والخلايا والأعصاب والعظام؟ لا أعتقد ذلك.

د. رانيا فرح
www.esoteric-lebanon.org

في العالم الداخلي (2-2)

أين هو هذا الداخل؟ وداخل ماذا؟
وحين أرى نفسي عاجزة عن متابعة التفكير، أو إيجاد الحل، ألجأ إلى علوم باطن الإنسان، علوم الإيزوتيريك التي تبحث في شتى المعارف التي تشمل كيان الإنسان، فلديها دوماً أجد الإجابة عن كل ما يخطر في البال. على الأقل هكذا برهنت لي.
لكن الأمر المهم في علوم الباطن الإنساني أنها تقدم الوسيلة في منطق متقدم يعين المرء في الوصول إلى مبتغاه، وذلك قبل الكشف عن معارفها ومعلوماتها. إذ إن سعي الإنسان للبحث والتوصّل الى الحقيقة بنفسه هو ما يرتقي بوعيه. هذا ولا تترك المرء وحيداً، فإن استعصى عليه الأمر، تقدّم له ما بحث عنه واستصعب إيجاده.
وهكذا، لجأتُ إلى علوم الإيزوتيريك لأسترشد بمعرفتها فيما يخصُّ العالم الداخلي للإنسان، فوجدتُ المعلومات التالية:
المقصود «بالعالم الداخلي» هو الجزء اللامعلوم، أو الخفي، أو اللامنظور أو الأثيري في الإنسان. أي أجهزة وعيه، أو أجسامه الباطنية. والأجسام الباطنية ليست موجودة « داخل» الإنسان، كما يعتقد البعض، لكنها تتخلل كيانه وتحتويه خارجاً وداخلاً... حتى أنها تغلفه في بعض الأحيان.
من هذا المنطلق، التعبير الأصح هو أن الإنسان يقطن داخل كيانه، وليس العكس.
أما لماذا هذا التعبير غير المألوف؟ فللسبب التالي: كل ما هو داخلي، أو باطني، هو لامنظور، من الناحية التعبيرية المادية؛ وكل ما هو خارجي يعني شيئاً مرئياً. لذلك، حين يقال «العالم الداخلي»، إنما يراد به العالم غير المنظور في الإنسان.
والشيء الملفت للنظر أن الفكر البشري يستخدم هذا التعبير، دونما الانتباه إلى معناه الحقيقي... فالكثيرون يقولون: داخل الإنسان، الذات الداخلية، دخل إلى نفسه، انكفأ في ذاته، غاص في أفكاره، تعمّق في نفسه، إلخ...
كل ذلك يعني أن ثمة عالماً «داخلياً» لا منظوراً للعين المجردة، يحوي كل ما يحتاج إليه الإنسان من معلومات أو معرفة، أو هدوء، أو حل لمشكلة، إلخ... ولو أن الإنسان ينتبه قليلاً إلى الألفاظ والعبارات التي يتفوه بها، لأدرك كل ما يبغيه، وكل ما تحويه ذاته من أشياء قيمة، كان يجهل وجودها.
وهكذا، أصبح «العالم الداخلي» للإنسان بالنسبة إليّ فيما بعد، هو العالم الخافي، أو المكونات اللامادية في الكائن البشري، وهذا هو العالم الحقيقي، أو الإنسان الحقيقي.
ترى، هل من عبارات أخرى يستعملها الإنسان ولا يفقه معناها؟ هل من كلمات أخرى تحاول لفت انتباه الإنسان إلى الحقيقة، وهو يغفل عن معناها؟

د. رانيا فرح
www.esoteric-lebanon.org